تابع للمحاضرة الاولى:

03) الجينيالوجيا من فلسفة المعنى الى فلسفة القيمة:

يفتتح نيشته كتابه "جينيالوجيا الأخلاق" بقوله:" إن أفكاري عن مصدر أحكامنا المسبقة في الاخلاق -إذ بها يتعلق الامر في هذا المؤلف السجالي- إنما اخذت تعبيراتها الأولى والضنينة والمؤقتة ضمن ضمن دلك المجموع من الشذرات الذي يحمل عنوان "إنساني مفرط في انسانيته، كتاب للعقول الحرة" ، فالمشروع الجينيالوجي النيتشوي لا يؤرخ له بكتابه جينيالوجيا الاخلاق بل نجد له ارهاصات سابقة جاعلا من الاخلاق تطبيقات اكيدة لهدا المنهج بحثا في القيم بما هو قائم لتصبح الجينيالوجيا بدلك **"أحد الابتكارات العظيمة لنيتشه في الحقل الفلسفي ، يتمثل هذا بشهادة الكثير من الفلاسفة والمفكرين أمثال كلوسفسكي وبلونشو وفوكو ودولوز وميشال ري ودريدا في بلورته لمفهوم القراءة كاليات وإجراءات لتفكيكالنصوص وتاويلها وفي وقت لم تكن فيه بعد علوم تحليل الخطاب قد ظهرت..."** [1]

وعليه يبدو ان رحلة البحث في الأصول ليست بالسهلة لهدا يتحدث نيتشه أن الدافع الأساسي لبحثه في الأصل واصل الاخلاق على وجه التعيين كان هو كتاب أصل المشاعر الأخلاقية حيث يقوول **" إن اول دافع على التصريح بشيء من فرضياتي حول أصل الاخلاق قد أتاني من كتيب واضح نزيه ورزين بل له رزانة الشيوخ حيث اعترضني على نحو جلي لأول مرة نوع مقلوب ومنحرف من الفرضيات الجينيالوجية هو نوع انجليزي باتم معنى الكلمة وجذبني اليه بقوة الجاذبية تلك التي تنطوي على كل ما هو مضاد وكل ما هو معاكس، كان عنوان الكتيب هو اصل المشاعر الأخلاقية، وكلن مؤلفه هو بول ري ،وسنة ظهوره 1877"**[2] **وهده احد المشارب المتنوعة لنيتشه .**

وينقلنا محمد اندلسي من خلال قراءته لنيتشه الى الاستفادة من المنهج الجينيالوجي لفهم الخطابات الفلسفية وكذا اللغة التي تلقي بتاويلاتها داخل النص النيتشوي، **"والحقيقة أن الصعوبة الأساسية التي يواجهها قارئ النص الجينيالوجي تتمثل في نظر أريك بلونديل**

---

[1] محمد اندلسي نيتشه وسياسة الفلسفة، افريقيا الشرق، المغرب، ص 26.

[2] فريدريك نيتشه، جينيالوجيا الاخلاق، ص 35.

في كون الخطاب الجينيالوجي حطاب مستحيل لأنه لا يحيل على خطاب اخر، ولا يحيل على واقع معطى يوجد خارج الخطاب، فهو خطاب حول الخطاب، لغة حول اللغة، تأويل لتأويل"

04) الجينيالوجيا عند جيل دولوز:

يرى دولوز أن الهدف من الجينيالوجيا ليس الدخول في مشاكل الأصل والبحث عنه، وإنما في اصدار احكام القيم بصدد الأصل وهدا ما يخرجه من مجال الميتافيزيقا، ومن تمة فان **"فلسفة القيم ... هي الإنجاز الحقيقي للنقد، والطريقة الوحيدة لإنجاز النقد الكلي، أي صنع الفلسفة بضربات المطرقة...والقيم بالتالي هي التي تفرض تقويمات (بمعنى وجهات نظر تثمينية) تشتق من قيمتها بالذات...وتظهر امامنا ادا الجينيالوجيا (النسابة) كقيمة الأصل واصل القيمة في الوقت ذاته وهي تتعارض مع الطابع المطلق"**[3].

وبهدا فقد كانت الجينيالوجيا تسعى الى إزالة القناع عن نسق المعتقدات والافتراضات التي كانت بمثابة دعم وارتكاز للنص الميتافيزيقي لانتاج مفاهيم تشتغل كحقيقة أو كمعيار لها ومبدأ.

كما ان غرض الجينيالوجي عند كل محاولة هو تحقيق الوظيفة التفكيكية للنص لتقويض المفاهيم ويقاظ الدلالات ، ويضيف محمد اندلسي **" تسعى الجينيالوجيا بما هي منهج في القراءة والتاويل الى تفكيك النصوص والخطابات الدينية والأخلاقية والفلسفية و العلمية والتعامل معها باعتبارها علامات واعراض ، أو باعتبارها أقنعة تختفي وتحجب التواطؤ وراء مفاهيم وقيم تقدم ذاتها في صورة حقائق مطلقة ومثل عليا مكتملة وأصنام مقدسة... ومن جهة أخرى فان التحليل الجينيالوجيبما هو صعود على أصل تلك المفاهيم والقيم بهددف تحديد مصدرها، وقيمة دلك المصدر ينتهي الى تعرية وفضح السلطات وارادات القوى المختلفة...وهي ارتكاسية في جوهرها تقف وراء تلك المفاهيم والقيم وتتحكم في النصوص والخطابات" .**

---

[3] جيل دولوز، نيتشه والفلسفة، تر أسمة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ، ط1، 1993، ص 75.

والقوى الارتكاسية نموذجان وهما القوى الفاعلة والقوى الارتكاسية وهذا التقسيم استمده نيتشه من تشخيصه الجينالوجي للأخلاق والقوى الفاعلة هي دوما الأرقى وهي المسيطرة، لكن في المقابل هناك القوى الدنيا أو الارتكاسية التي يمكنها أن تنتصر و تتغلب، ولهذا كان شعار إرادة القوة النيتشوية هو: " علينا دائما أن ندافع عن الأقوياء ضد الضعفاء"[4] وبحسب نيتشه وجب أن لا نحكم على القوى المنتصرة على أنها هي الفاعلة وبالتالي التسليم بنظرية داروين التطورية القائلة بالصراع والبقاء للأقوى، لأن القوى الارتكاسية قد تكون المنتصرة أحيانا ولهذا وجب التأكد من طبيعة هذه القوى المنتصرة قبل أن نحكم عليها بأنها فاعلة أو ارتكاسية، وما انتصار الضعفاء إلا لأن عددهم هو الأكبر، فهم باجتماعهم يشكلون قوة أقوى من قوة القوي لكن العبد حتى حين ينتصر لا يكف على أن يكون عبدا ولهذا فإن نيتشه يؤكد على عدم وجوب الحكم على القوى من خلال مبدأ الصراع وما يترتب عليه من انهزام أو انتصار وإنما الحكم عليها من حيث نوعيتها من حيث أصلها، وهذا من خلال عملية البحث الجينالوجي البحث في الأصل وعنه، ومن خصائص ومميزات القوة الارتكاسية هو أنها قوة نفعية متكيفة مع كل الظروف كما أنها قوى دائما تحاول أن تفصل وتبعد القوة الفاعلة عن أهدافها وعن ما تستطيع فعله وهذا ما يتجلى في عملية انتصار الضعفاء أو العبيد وهي كذلك قوة تنفي نفسها بنفسها أي أنها تنقلب ضد ذاتها من خلال حكم الضعفاء فالقوى الارتكاسية دائما عندما لا تجدإلى من توجه أحكامها وسهامها فإنها تحولها إلى نفسها إلى ذاتها، وبمقابل هذه القوى الارتكاسية هناك القوى الفاعلة التي تتصف بالمرونة والسيطرة والقهر، كما أنها قوة تبدل أقصى ما في وسعها لبلوغ وتحقي مبتغاها، وهي أيضا قوة تثبت الاختلاف والتعدد والصيرورة و هذا الاختلاف هو موضوع استمتاعها.

05)الجينيالوجيا باعتبارها فيلولوجيا او (الجينيالوجيا درس الفيليولوجيا):

تلقى نيتشه تكوينا فيلولوجيا على يد أستاذة "ريتشل" بجامعة ايبتزيغ وكان لهدا التكوين اثرا فعالا على فكره بصفة عامة وعلى جينيالوجيا الاحلاق بصفة خاصة(1887) لن الجينيالوجيا تجعلنا نصغي الى اللغة محاولين أن نعثر وراء الكلمات على حديث أكثر أهمية

[4] جيل دولوز، نيتشه والفلسفة، المرجع السابق، ص 76.

، حديث الإرادة التي تختفي وراء الكلمات أو حديث القوى الفاعلة التي تتقنع وراء الكلمات، لهدا فاننا في الجينيالوجيا نجد نوعا من اللغة أو بالتحديد نوعا من الفيلولوجيا أي فقه اللغة، وهو نوع لا يهتم بما تقوله الكلمات وإنما يهتم بمن يمتلك سلطة الكلام، وبالقوى التي تتصارع في اللغة ، ومن خلالها القوى التي تمتلك سلطة التاويل، وبالتالي فان الفيلولوجيا تضع امامها أسئلة جديدة تطرح لأول مرة وبصورة جريئة حيث تتساءل : من يستخدم الكلمةظ وعلى من يطبقها؟ ومادا ينوى وراء دلك؟ ومادا يريد وهو يقول تلك الكلمة؟

يتوصل الجينيالوجي من خلال الإجابة ن هذه الأسئلة الى ان اللغة لم تكن ابدا امرا طبيعيا والى انها خضعت للتحريف من مختلف الارادات والى أن اصلها نفسه كان فعل من أفعال السلطة وهدا يعني أن العلاقة التي تقوم في عملية التاويل علاقة عنف لا علاقة توضيح وكشف ، كمايعني ان اللغة ليست وسيلة للمعرفة بل هي أداة في خدمة أمر، في خدمة سلطة...لهدا فان الجينيالوجي لا يتوقف عند أصل الكلمات ومسارها التاريخي والرحم الذي نشاة فيه، بل هو يحاول ان يكشف عن النوازع الحيوية التي تقف وراءها.[5]

وهذهالمتاهات الفيلولوجية هي التي تمنح الجينيالوجيا طابعها الابدي إذ ان نظرية المعرفة النيتشوية تتعهدنا باستراتيجية من الصعب تتبيثها لانها تطالب بشكل جديد من العقل Esprit nouveul ليس عقلانيا ومنطقيا وانما ديناميكيا منفتحا على مختلف الاتجاهات والاختلافات الفكرية، حيث حلم نيتشه من خلال الفيلولوجيا الى حل مختلف المسائل الفلسفية والدينية وهذا ما جعله يقول **:"أن ريتشل هو وعيه العلمي الخفي".**

فقد منحته الفيلولوجيا صرامة المنهج ودقة التفاصيل حيث تعرض من خلالها لتاريخ الادب الاغريقي، تاريخ الأديان القديمة ، تاريخ الخطابة(البيان)، تاريخ الفلسفة الاغريقية، حيث ما كان ليقبل بمعارف عصره خصوصا الفيلولوجيين الذين يبحثون دوما في الماضي عن تواري الواقع لهدا كان هؤلاء لا يبدون له ممثلين كبار لأن ا لفيلولوجي لا يجب ان يكون مؤرخا بالمعنى العادي أي الاعتماد على السرد وفقط ، وإنما وجب أن يكون معلما ومنقبا وبحاثة، وبحصر المعنى فيلسوفا.

الجينيالوجيا ادن هي بمنظار فيلولوجي بحث في المشاكل بحثا مفككا للغة عبر التاريخ.

---

[5] انظر جمال مفرج ، الفلسفة المعاصرة من المكاسب الى الاخفاقات، ص 56-57.